الفصل الخامس

التصوّر الفلسفي للمجتمع السياسي

عند الفارابي

obeikandl.com

ثمّة قضاياً متداخلة ومتشابكة تتعلّق بالحياة السّياسيّة للمجتمع يسعى الفيلسوف لتناولها بقصد التّعرّف عليها وإيجاد الحلول الملائمة لها مثل: الغاية المرجوّة من الحكم المدني،وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم،والشّروط الواجب توفّرها في الحاكم، والواجبات الّتي يتعيّن على الحاكم تأديتها حيال وطنه ومواطنيه،والواجبات الّتي يتعيّن على المواطنين تأديتها حيال وطنهم وحاكمهم .كذلك ابتكار جملةٍ من التصوّرات والمفاهيم الفلسفيّة في مسعىً لمحاكات مجتمع طوباوي يحقق للإنسان أحلامه وطموحاته وأمانيه، فإيجاد مجتمع فاضل يحقق للإنسان سعادته كان ولا يزال هدفاً للجهود الفلسفيّة السّياسيّة للعديد من المفكّرين والفلاسفة. من هنا تتحدّد مهمّة الفلسفة السّياسيّة في اكتشاف الأدوات والوسائل الكفيلة بتحقيق نوعٍ من الحكم يفضي إلى السّعادة الّتي يحلم بها كلّ فرد من أفراد المجتمع-سواء كان حاكماً أم محكوماً-بهذا المعنى يكون الدّور الّذي يضطّلعُ الفيلسوف بهِ أشبه ما يكون بدور المخلّص الّذي تتّجه أنظار معظم النّاس إليه لوصف العلاج الصّحيح، وتقديم الحلول المبتكرة للمشكلات الّتي يعاني مجتمعهم منها، بهدف الوصول به إلى أرقى المراتب الممكنة. ولن يتأتّى هذا إلاّ من خلال القدرة على النّفاذ إلى جوهر القضايا وعدم الارتكان بالتوقّف عند ظاهرها، ولطالما أنَّ الفيلسوف جزءٌ لا يتجزّأ من مجتمعه، فإنّه يدرك بأنَّ سعادته الحقيقيّة لا يمكن الظّفر بها إلاَّ إذا ظفر المجموع الكلّي لأفراد المجتمع بها، فحرمان الأغلبيّة من الرّفاه والسّعادة يعكّر رفاه الفرد وسعادته مهما تكن رتبته الاجتماعيّة، وهذا يكشف عن عمق صلة الجزء بالكلّ على نحو يتعذّر فيه الفصل التّام لأيٍّ منهما عن الآخر، من هنا كانت الحلول الّتي يبتكرها الفيلسوف لتحقيق السعادة على قدر من الاتّساع والشّمول بحيث تشمل جميع أفراد المجتمع، مع فارقٍ أساسيٍّ بينه وبين باقي أفراد المجتمع وهو: أنَّ القسط الأكبر في بذل الجهد لتأمين هذه الغاية يقع على كاهله وحده بالدّرجة الأولى، آخذين بنظر الاعتبار أنَّ النّشاط المبذول من جانبه يولّد الشّعور لديه بالمتعة والسّعادة، بمعنى أنَّ مهمّته مهمّةٌ جهاديّةٌ تبعث على الفرح والسّرور في نفسه مهما بلغ حجم الصّعوبات والتّعقيدات الّتي تعترض سبيله.

وأبو نصر الفارابي واحد من الفلاسفة الّذين تكلّفوا عناء التّفكير والتّفلسف في مسعىً لوضع الأسس والتّصوّرات الكفيلة بتحقيق السّعادة للمجتمع الّذي يتكوّن من الرّئيس والمواطنين ومراتب الرّئاسة المختلفة في إطار مجتمع المدينة الواحد، وفقَ تصوّرٍ فلسفي مثالي مستمدٍّ في جانبٍ كبيرٍ منه من التّصوّرات الفلسفيّة للفلاسفة اليونان، خصوصاً (أفلاطون و أرسطو) ومن الشّريعة الإسلاميّة، لينتهي بعد ذلك إلى وضع تصوّرٍ فلسفيٍّ أخلاقي للعلم السّياسي الّذي يكون قادراً على تحقيق السّعادة لمجتمع المدينة الفاضلة.

وعليه سيتناول الفارابي عدداً من المسائل السّياسيّة بروحٍ فلسفيّة تأمليّةٍ تنتهي إلى مطابقة ما بالأعيان للتصوّرات الفلسفيّة للكونَ والعالم والاجتماع المدني الّذي ينبغي أن يخضع للمبادئ والنّواميس الّتي يخضع لها العالم الطّبيعيٍّ ذاته، تلك المبادئ الّتي تنطلق من التّسليم بوجود الله بوصفه رأس الموجودات وكمالها المطلق وواجب الوجود الّذي يعقل ذاته بذاته وتصدر عنه سائر الموجودات باعتبار أن وجوده هو المصدر الّذي تصدر عنه الأشياء كلّها، من هنا جاء ترتيبه للعقول ابتداءً بالعقل الأوّل الّذي تصدر عنه العقول العشرة الباقية، متأثّراً بنظريّة الفيض الأفلاطونيّة.

ولطالما أنَّ العقل الأوّل هو علّة الوجود وكماله، والسّبب في وجود باقي العقول، ولطالما أنَّ العقول العشرة تسعى للتّشبّه بالموجود منها في سلسلة تنتهي بتشبّه الموجود الثّاني بالموجود الأوّل واجب الوجود-أي الله-فإنَّ رأس الكثرة هنا يكون الواحد، وعليه فرأس مجتمع المدينة ينبغي أن يكون الرّئيس، الّذي يعتبر السّبب الأوّل في وجودها، فالرّئيس أوّل العناصر، وأكثرها أهمّيّة في الاجتماع المدني، وهو بمنزلة الموجود واجب الوجود بالنّسبة للموجودات الصّادرة عنه، في علاقته بالاجتماع المدني، بمعنى أنّهُ لاوجود للاجتماع المدني المبني على أسسٍ أخلاقيّة فضائليّة من غير الرّئيس الّذي بواسطته يتمّ تنظيم المجتمع تنظيماً مثالياً مماثلاً للتّنظيم الكوني الّذي يربط جميع الموجودات بالله، وعليه فالرئيس هو علّة وجود المدينة الفاضلة، و وجوده سابقٌ على وجود المدينة الفاضلة ذاتها، باعتبارها تأتي في سلسلة المراتب التّالية لوجود الرّئيس، من هنا تسعى إلى التّشبّه به بوصفه المثال الأعلى للفضيلة وقيمها الأخلاقيّة والنّظام.

وعليهِ فثمّة رابط بين الأخلاق والسّياسة في فلسفة الفارابي السّياسيّة انطلاقاً من نظرته لأخلاق الإنسان بوصفه كائناً مدنيّاً، آخذين بنظر الاعتبار هيمنة الأفكار السّياسية على فلسفته، والدليل على ذلك أننا نقع على مجموعة من المؤلّفات السّياسيّة لديه أبرزها: "السّياسة المدنيّة"، "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"تحصيل السّعادة"، والفارابي كما نظر البعض إليه من "أشدّ الفلاسفة المسلمين عنايةً بالسّياسة رغم أنّه لم يشارك فيها أدنى مشاركة"

يحدد الفارابي غاية الفلسفة السّياسيّة بأنّها: سياسيّة أخلاقيّة في المقام الأوّل. من هنا كانت المهمّة الرّئيسة للعلم المدني هي مهمّة البحث عن كلّ الأفعال الحسنة،كالخير ، والفضائل الّتي تمكّن الإنسان من الاقتراب من الكمال، بخلاف الأفعال القبيحة التي تعيقه من تحقيق ذلك، وعليه يكون العلم السّياسي هو: "علم الأشياء الّتي بوساطتها يتوصّل سكّان المدن إلى السّعادة بفضل المجتمع المدني" لذا يولي الفارابي أهمّيّة كبيرةً للاجتماع المدني باعتباره السبيل الموصل للسّعادة.

والفلسفة السّياسيّة-أو العلم المدني عند الفارابي -تتناول أنواع الأفعال والشّرائع الإداريّة والملكات والأخلاق والسّجايا والشّيم الّتي تنجم عنها الأفعال،والغايات الّتي من أجلها تُفعل الأفعال طبقاً لقوله بأنَّ العلم المدني هو الّذي "يفحص عن أصناف الأفعال والسِّيَر الإراديّة وعن الأخلاق والسّجايا والشّيم الّتي عنها تكون تلك الأفعال والسّنن، وعن الغايات الّتي لأجلها تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان" ولمّا كانت السّعادة هي الغاية المنشودة لفلسفته السّياسية، فقد تناول كلّ ما من شأنه أن يكون على علاقة بسعادة الإنسان، فأصبح العلم المدني لديه يُعنى بالمبادئ الأوّليّة والنّظريّات الإلهيّة نظراً للصّلة الّتي تربطها بسعادة الإنسان، أمّا السّعادة في أعلى درجاتها فلا يتوقّف تحصيلها على أفعال الإنسان فحسب، وإنّما على آرائه أيضاً من هنا انفرد كتاب الفارابي "مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة" في إبراز الآراء الّتي يتعيّن على أهل المدينة الفاضلة الأخذ بها حتّى يصلوا إلى السّعادة الّتي هي الكمال النّظري الّذي لا يوجد إلاّ في الأذهان والنّفوس فحسب.
القول في الاجتماعات المدنيّة (أهمّيّتها،أقسامها،اختلافاتها):

الإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ سياسيٌّ بالطّبع فلا يستطيع الاستمرار في العيش بمعزلٍ عن النّاس والمجتمع والنّظام فهو على حدّ قول الفارابي: ".. من الأنواع الّتي لا يمكن أن يتمّ لها الضّروري من أمورها، ولا تنال الأفضل من أحوالها إلاّ باجتماع جماعاتٍ منها كثيرة في مسكن واحد" والجماعات الإنسانيّة عند الفارابي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عظمى، وسطى، وصغرى، أمّا العظمى فهي جماعة مكوّنة من أمم كثيرة تجتمع وتتعاون. والوسطى هي الأمّة، والصّغرى هي الّتي تحوزها المدينة، والجماعات الثّلاث هي الجماعات الكاملة، والمدينة هي أوّل مراتب الكمالات، من هنا كان جلّ تركيز الفارابي على الجماعة الصّغرى الّتي تشكّل مجتمع المدينة. بالمقابل هناك الجماعات النّاقصة وهي، الاجتماع في القرى والمحال والسّكك والبيوت، وهناك ما هو أنقص منها جدّاً وهو "الاجتماع المنزلي" وهو جزء للاجتماع في السكّة الّذي هو جزء للاجتماع في المحلّة الّذي هو جزء للاجتماع المدني، وثمّة تقاطعاتٍ واختلافاتٍ بين هذه الاجتماعات، فالمحال والقرى لأجل المدينة لكنّ الفرق بينهما هو "أنَّ المحال أجزاء للمدينة والقرى خادمة للمدينة.. (كذلك) الجماعة المدنيّة هي جزءٌ للأمّة، والأمّة تنقسم مدناً" والجماعة الإنسانيّة الكاملة من وجهة نظر الفارابي هي الّتي تنقسم أمماً، ولكنّ الأمم تتمايز عن بعضها البعض بشيئين طبيعيين هما "الخِلَق الطّبيعيّة والشّيم الطّبيعيّة،وبشيء ثالث وضعي..وهو اللّسان، (اللغة الّتي بها تكون العبارة)"، والأمم ليست على درجة واحدة من حيث الكمّ والاتّساع: "فمن الأمم ما هي كبار ومنها ما هي صغار، أمّا اختلاف الأمم فيرجع إلى أسبابٍ جغرافيّة وطبيعيّة: "فالسّبب الطّبيعي الأوّل في اختلاف الأمم .. اختلاف أجزاء الأجسام السّماويّة الّتي تُسامتهم في الكرة الأولى، ثمّ من كرة الكواكب الثّابتة، ثمّ اختلاف أوضاع الأكر المائلة من أجزاء الأرض وما يعرض لها من القرب والبعد، ويتبع ذلك اختلاف أجزاء الأرض الّتي هي مساكن الأمم .. ويتبع اختلاف أجزاء الأرض اختلاف البخارات الّتي تتصاعد من الأرض، وكلّ بخار حادثٍ من أرض فإنّه يكون مُشاكلاً لتلك الأرض، ويتبع اختلاف البخار اختلاف الهواء واختلاف المياه، ويعلل ذلك أنَّالمياه في كلّ بلد إنّما تتكون من البخارات الّتي تحت أرض ذلك البلد .. ويتبع اختلاف الهواء، واختلاف المياه، اختلاف النّبات واختلاف أنواع الحيوان غير النّاطق، فتختلف أغذية

الأمم، ويتبع ذلك اختلاف المواد والزّرع الّتي منها يتكوّن النّاس الّذين يخلفون الماضين، ويتبع ذلك اختلاف الخِلَق واختلاف الشّيم الطّبيعيّة .. فما يبقى بعد ذلك من الكمالات الأُخَر،فليس من شأن الأجسام السّماويّة أن تعطيه بل ذلك من شأن العقل الفعّال، هكذا يردّنا الفارابي في اختلاف الأمم إلى الأساس الفلسفي الّذي ينطلق منه، بحيث يردّ الاختلافات الحاصلة بين الأمم إلى الأثر الطّبيعي المتعلّق بالكرات، كرة الكواكب الأولى، وكرة الكواكب الثّابتة، وكرة الكواكب المائلة، فاختلافات الأمم لديه ليست اعتباطيّة وإنّما ترتدّ إلى عللها الطبيعيّة.

أمّا العقل الفعّال فَيَهِب الإنسان قوّةً ومبدأً به يسعى، أو به يقدر على أن يسعى من تلقاء نفسه إلى سائر الكمالات .. فيعطيه المعارف والمعقولات بعد أن يتقدّم في الإنسان، ويحصل فيه الجزء الحاس من النّفس، والجزء النّزوعي الّذي به يكون الشّوق والكراهة التّابعان للحاس.. فبهذين تحصل الإرادة إذ يعزو إليها كلّ أفعال الإنسان من المحمود والمذموم، والجميل والقبيح. فالإرادة **أوّلاً هي:** شوق عن إحساس، والشّوق يكون بالجزء النّزوعي، والإحساس بالجزء الحاس. وهي **ثانياً:** شوقٌ عن تخيّل، وبعد أن يحصل هذان يمكن أن تحصل المعارف الأُوَل الّتي تحصل من العقل الفعّال في الجزء النّاطق. وهي **ثالثاً:** شوقٌ عن نطق، وهذا هو المخصوص باسم الاختيار، وهو الّذي يفرّق الإنسان عن سائر الحيوان طبقاً للتّعريف الشّائع بأنَّ "الإنسان حيوان ناطق" ولعل هذا النّوع من الإرادة هو الأهمّ بين الإرادات المذكورة "بهذا –(النّوع)-يقدر الإنسان أن يفعل المحمود والمذموم، والجميل والقبيح، ولأجل هذا يكون الثّواب والعقاب"أمّا الإرادتان الأوّليان فإنّهما قد يكونان في الحيوان غير النّاطق، وبذلك فهما مشتركتان بين الإنسان والحيوان، بينما إذا حصلت الإرادة الثّالثة في الإنسان، يكون بوسعه أن يسعى نحو السّعادة أو أن لا يسعى، وأن يفعل الخير أو أن يفعل الشّر، وأن يفعل الجميل أو القبيح أيضاً.

القول في السّعادة :

يرى الفارابي بأنَّ السّعادة هي الخير على الإطلاق، وبأنَّ كلَّ ما من شأنه أن يعيق الوصول إلى السّعادة هو الشّر على الإطلاق، والخير والشّر إمّا أن يوجدا بالطّبع أو بالإرادة، والخير الإرادي والشّر الإرادي هما الجميل والقبيح، والسّعادة الّتي يشعر بها الإنسان تحصل فقط بالقوّة النّاطقة النّظريّة وهي أحد قوى النّفس الخمسة ، النّاطقة

النّظريّة والنّاطقة العمليّة، والنّزوعيّة، والمتخيّلة، والحسّاسة، من ناحية أخرى لا يوجد سعادة واحدة كاملة غير متفاضلة عند النّاس، بل يوجد بضع سعاداتٍ متفاضلةٍ بالنّوع والكمّ والكيف:".. والسّعادات تتفاضل بثلاثة أنحاء، بالنّوع، والكميّة والكيفيّة وهذا التّفاضل شبيه بتفاضل الصّنائع، ولجوء الفارابي إلى التّشبيه والمماثلة مردّه أنَّ غالبيّة النّاس يستيسرون الفهم عن طريق التّمثيل ومحاكاة ما هو محسوس في الحياة كونه أقرب إلى الفهم والتّصوّر، لذا نجده يحدّد التّفاضل بالنّوع على هذا النّحو: "التّفاضل بالنّوع هو أن تكون صناعات مختلفة بالنّوع، بحيث إحداها أفضل من الأخرى مثل الحياكة وصناعة البزّ وصناعة العطر، ومثل صناعة الرّقص، وصناعة الفقه، ومثل الحكمة والخطابة أمّا التّفاضل بالكميّة، فيكون لأهل الصّنائع الّتي من نوعٍ واحد، كأن يكون كاتبان مثلاً، عَلِمَ أحدهما من أجزاء صناعة الكتابة أكثر من الآخر، وآخر احتوى من أجزائها على أشياء أقلّ. وأمّا التّفاضل بالكيفيّة، هو أن يكون اثنان احتويا من أجزاء الكتابة على أشياء بأعيانها ويكون أحدهما أقوى فيما احتوى عليه وأكثر دراية.

من ناحيةٍ أخرى يبرز الفارابي أثر الأفعال الحسنة في تقويّة جزء النّفس المعدّ بالفطرة للسّعادة، وإذا بلغ من القوّة حدّاً يجعله في حلٍّ من المادّة، عندئذٍ تحصل السّعادة دون أن تكون محتاجة في قوامها ووجودها إلى مادة وعليه فالنّفس هي الآلة الّتي يتمّ بها تحصيل السّعادة وليس البدن لأنّ البدن يبطل أمّا النّفس فلا تبطل ببطلانه، من هنا يكشف الفارابي عن عمق العلاقة بين السّعادة والنّفس الأمر الّذي جعله يولي أهمّيّة لخلاص النّفوس وازديادها: "فإذا مضت طائفة وبطلت أبدانها، وخلصت أنفسها وسعدت، فخلفهم ناس آخرون بعدهم فقاموا في المدينة مقامهم، وفعلوا أفعالهم،خلصت أيضاً أنفس هؤلاء.. وكلّما كثرت الأنفس المتشابهة المفارقة واتّصل بعضها ببعض، كان التذاذ كلٍّ واحدٍ منها أزيد فاتّصال الأنفس المتشابهة بعضها ببعض في كافّة الأزمنة، يزيد من سعادتها على نحوٍ مطّرد : "وزادت لذّات الماضين باتّصال اللاّحقين بهم لأنَّ واحدةً تعقل ذاتها وتعقلُ مثلها مراراً كثيرةً ويزيد ما يعقل منها بلحاق الغابرين بهم في مستقبل الزّمان فيكون تزيُّد لذّات كلّ واحدٍ في غابر الزّمان بلا نهاية، فهذه هي السّعادة القصوى الحقيقيّة الّتي هي غرض العقل الفعّال" وعليه فاتّصال النّفوس ببعضها يجعلها تعيش في شركة روحيّة أبديّة بحيث

يمتدّ أثر الأنفس اللاّحقة في الأنفس السّابقة، وتزداد اللذة كلّما ازداد عدد الفاضلين اللاّحقين وذوي الأنفس الإنسانيّة المتشابهة إلى ما لانهاية.

القول في العضو الرّئيس والرّئاسة:

يولي الفارابي للرّئيس أهميّة كبيرة في مجتمع المدينة،فمنزلتهُ من المدينة أشبه ما تكون بمنزلة القلب من البدن، فكما أنّ القلب هو العضو الرّئيس في البدن فإنَّ الرّئيس هو العضو الرّئيس في المدينة: "وكما أنَّ القلب يتكوّن أوّلاً ثمَّ يكون هو السّبب في أن يكوّن سائر أعضاء البدن،والسّبب في أن تحصل لها قواها وأن تترتّب مراتبها.. كذلك رئيس هذه المدينة ينبغي أن يكون هو أوّلاً، ثمّ يكون هو السّبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها، وهذا ما حدا بنا أن نبدأ بالقول في الرّئيس قبل القول في المدينة الفاضلة ومن ثمَّ مضادّاتها"، ووفقاً لهذه النّظرة ينفي الفارابي مسألة انتخاب الرّئيس من قِبَل أعضاء المدينة، أو القول بأسبقيّة الاجتماع المدني على وجود الرّئيس، كما ينفي إمكان قيام مجتمع مدني عن طريق اتّفاق أعضائه في انتخاب رئيس لهم يدبّر لهم شؤونهم، وهذا يرتكز بالطّبع على الأساس الفلسفي الّذي ينطلق منه الفارابي في إشادة علمه المدني،وهو أنَّ أوّل الموجودات وأسبقها في الوجود هو السّبب الأوّل الّذي تفيض عنه بقيّة العقول والأجسام الأخرى، فيكون للواحد أسبقيّة في الوجود على بقيّة الموجودات الكثيرة الّتي تخضع لتدابيره بشكلٍ تراتبي، الأدنى منها يخضع للأعلى. وهكذا هو الحال في تحديد العلاقة بين الرّئيس والنّاس وسائر أجزاء المدينة عموماً: "وتلك حال الموجودات، فإنَّ السّبب الأوّل نسبته إلى سائر الموجودات كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها"، وكما أنَّ الأخسّ يقتفي غرض ما هو فوقه،وكما تكون الموجودات كلّها تقتفي غرض السّبب الأوّل، ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة ، بحيث يتعيّن على كلّ أجزائها أن تحتذي بأفعالها نحو مقصد رئيسها الأوّل على التّرتيب، وليس يمكن أن يكون رئيس المدينة الفاضلة أي إنسان، فللرّئاسة شروطٌ ينبغي أن تتوافر في الرّئيس: "الرّئاسة إنّما تكون بشيئين: أحدهما أن يكون بالفطرة وبالطّبع معدّاً لها، والثّاني بالهيئة والملكة الإراديّة .. والرّياسة لمن فطر بالطّبع معدّاً لها، فليس كلّ صناعة يمكن أن يرأس بها، بل أكثر الصّنائع صنائع يخدم بها في المدينة، وأكثر الفطر هي فطر الخدمة .. كذلك الرّئيس الأوّل للمدينة

الفاضلة ينبغي أن تكون صناعته صناعة لا يمكن أن يخدم بها أصلاً، ولا يمكن فيها أن ترأسها صناعة أخرى أصلاً".

والرّئيس ليس هو من لا يملك القدرة على إرشاد وإنهاض غيره، فهذا يكون مرؤوساً وفي كلّ شيء، فالرّئيس: "من كانت له قوّة على أن يرشد غيره إلى شيء مّا يحمله عليه أو يستعمله فيه، فهو رئيس في ذلك الشّيء على الّذي ليس يمكنه أن يفعل ذلك الشّيء من تلقاء نفسه"، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على ضرورة توفّر الاستعداد والموهبة للرّياسة بشكل فطري في الرّئيس.

من ناحية أخرى هنالك رئاسات يكون فيها الرّئيس مرؤوساً لرئيس آخر وفق تسلسل تراتبي، باستثناء الرّئيس الأوّل الّذي لا يحتاج ولا في شيء أن يرأسه إنسان، الأمر الّذي يستدعي أن تكون العلوم والمعارف لديه حاصلةً بالفعل ولا حاجة به أن يرشده غيره في شيء، وتكون له قدرة عل جودة إدراك شيء ممّا ينبغي أن يعمل من الجزئيّات، وقوّة على جودة إرشاد لكلّ من سواه إلى كلّ ما يعلّمه ويكون لديه قدرة على تقدير الأعمال وتحديدها وتسديدها نحو السّعادة وهذا لا يكون على حدّ قوله إلاّ: "في أهل الطّبائع العظيمة الفائقة إذا اتّصلت نفسه بالعقل الفعّال ويتمّ بلوغ ذلك بأن يحصل له أوّلاً العقل المنفعل ثمّ أن يحصل له بعد ذلك العقل المستفاد: "فبحصول المستفاد يكون الاتّصال بالعقل الفعّال" بمعنى أنَّ العقل المستفاد هو الصلة الّتي تصل بين العقل المنفعل والعقل الفعّال، والشّخص الّذي يحصل له ذلك-كما هو الحال عند القدماء-هو الملك الّذي يوحى إليه كونه بلغ هذه الرّتبة، فتفيض من العقل الفعّال إلى العقل المنفعل القوّة الّتي بها يمكن أن يوقف على تحديد الأشياء والأفعال وتسديدها نحو السّعادة: "ويتمّ ذلك على اعتبار أنَّ العقل المنفعل هو شبه المادّة والموضوع للعقل المستفاد، والعقل المستفاد شبه المادّة والموضوع للعقل الفعّال، وبما أنَّ العقل الفعّال فائضٌ عن وجود السّبب الأوّل، يمكن القول بأنَّ السّبب الأوّل هو الموحي إلى هذا الإنسان بتوسّط العقل الفعّال "بناءً على ذلك يستنتج الفارابي بأنَّ رئاسة هذا الإنسان الموحى إليه من السّبب الأوّل بتوسّط من العقل الفعّال هي الرّئاسة الأولى في حين أنَّ سائر الرّئاسات متأخّرة عن هذه وكائنة عنها .. وينتج من ذلك أنَّ النّاس الّذين يُدَبَّرون برئاسة هذا الرّئيس هم النّاس الفاضلون والأخيار السّعداء، فإن كانوا

أمّةً فتلك هي "الأمّة الفاضلة"،وإن كانوا أُناساً مجتمعين في مسكنٍ واحد يجمع جميع من تحت هذه الرّئاسة فهي "المدينة الفاضلة" أمّا من كانوا في مساكن متفرّقة يُدَيَّر أهلها برئاساتٍ أُخر غير هذه كانوا أناساً أفاضل يعرض تفرّقهم لأسبابٍ متعدّدة، إمّا أنّه لم تتّفق لهم بعد مدينة يجتمعون فيها، أو أنّهم كانوا في مدينةٍ عرضت لها آفات من عدو أو وباء أو جدبٍ أو غير ذلك فاضطرّوا إلى التّفرّق، بعد ذلك ينتقل الفارابي للحديث عن طبيعة المدينة أو الأمّة الواحدة أو الأمم الكثيرة الّتي يتواجد فيها جماعة من الملوك في وقتٍ واحد، بأنّها تكون موحّدةً كملك واحد نظراً لاتّفاق هممهم وأغراضهم وسِيَرِهم، فتصبح القيادة الجماعيّة أمراً يسيراً فيما بينهم لعلّة تجانسهم ووحدة مقاصدهم وأهدافهم، وعليه يكون بالإمكان تشكيل مجلس رئاسة منهم، فتكون نفوسهم كنفسٍ واحدة حتّى إذا توالوا في الأزمان واحداً بعد آخر، بحيث يكون الثّاني على سيرة الأوّل والغابر على سيرة الماضي، وهذا التّواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل لا يعني الجمود والتّقليد الكامل، إنّما يخضع لمنطق التّجديد والتّطوّر طبقاً لقول الفارابي: "وكما أنّه يجوز للواحد منهم أن يغيّر بشريعة قد شرّعها هو في وقتٍ إذا رأى الأصلح تغييرها في وقتٍ آخر، كذلك الغابر الّذي يخلف الماضي له أن يغيّر ما قد شرّعه الماضي، لأنَّ الماضي نفسه لو كان مشاهداً للحال لغيّر فالحياة ليست جامدةً بل متحرّكةً تتطوّر في كلّ عصر فتكون مقتضيات العصر قاضيةً بالتّعامل معها بالشّرائع الملائمة.

الخصال الواجب توفرها في رئيس المدينة الفاضلة:

ينبغي لرئيس المدينة الفاضلة حيازة اثنتي عشرة خصلة تكون قد اجتمعت فيه بالطّبع ويكون قد فُطِرَ عليها، بالإضافة إلى توفّر ستة شروطٍ أخرى مكتسبة لكنّها لازمة **الخصلة الأولى:** أن يكون سليم البدن، تام الأعضاء بحيث تكون قواها مؤاتية أعضائها على الأعمال الّتي شأنها أن تكون بها، ومتى همّ بعضوٍ مّا من أعضائه عملاً يكون به، فأتى عليه بسهولة. بمعنى أنَّ الجسد منظومةٌ متكاملة إذا اعتلَّ عضوٌ من أعضائه نجم عنه اضطّرابٌ في القيام بعمل العضو المعتلّ من ناحية وانعكس اعتلاله على باقي أعضاء الجسد من ناحية أخرى. ناهيك عن أن الرّئيس صورةٌ عن العقل الفعّال وعلى علاقةٍ واتّصال

بالسّبب الأوّل، الموجود الكامل، واجب الوجود، المنزّه عن كلّ نقص واعتلال، فلا يجوز أن يعتريه النّقص والاعتلال.

الخصلة الثّانية: أن يكون بالطّبع جيّد الفهم والتّصوّر لكلّ ما يقال له فيلقاه بفهمه على نحو ما يقصده القائل، وعلى حسب الأمر في نفسه ووجود هذه الخصلة في الرئيس تمليها الضرورة لئلاَّ يخطئ في فهم الآخرين فيخطئ في التّدابير الّتي يلجأ إليها، من هنا يعدّ الفهم الصّحيح والقدرة على تفسير العالم والأشياء الموجودة فيه-بما فيها العلاقات الاجتماعيّة-أحد أهم الشروط الّتي تقوم عليها نظريّة المعرفة، حتّى يتسنّى التأثير فيه تأثيراً إيجابيّاً يأخذ بنظر الاعتبار الخصائص الذّاتيّة والموضوعيّة للعالم والمجتمع والأشياء، ويحول دون الوقوع في الخطأ والضّلال.

الخصلة الثّالثة: أن يكون جيّد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه، وفي الجملة لا يكاد ينساه وهذا يتطلّب وجود جملة عصبيّة سليمة ومعافاة، والغاية من وجود هذه الخصلة، هي حتى يكون الرّئيس على بيّنة في تدبّر القضايا والأحكام فلا يقع في الزّلل.

الخصلة الرّابعة: أن يكون جيّد الفطنة ذكيّاً،إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة الّتي دلَّ عليها الدّليل. وهذه خصلة أساسيّة في الخصال الواجب أن يتمتّع بها الرّئيس فيكون جيّد التّذكّر والانتباه، لبيباً ذو حاسّة مرهفة تمكّنه من الوصول إلى الشّيء بأقلّ الأدلّة.

الخصلة الخامسة: أن يكون حسن العبارة، يؤتيه لسانه على إبانة كلّ ما يضمره إبانة تامّة، وهذا يعني تطابق اللّفظة مع الفكرة تطابقاً تامّاً حتّى لا يقع التباسٌ في التّعبير والإبانة،لأنَّ من يخونه اللّسان عن حسن نيّة، يفتح الباب للتّأويل الخاطئ لما يُقال.

الخصلة السّادسة: أن يكون محبّاً للتّعليم والاستفادة، منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب التّعليم، ولا يؤذيه الكدُّ الّذي ينال منه، لأنَّ العلم زاد المعرفة والمعرفة نور الحقّ الّذي لا ينطفئ، وبالعلم تتهذّب النّفوس وتصفوا. وبالتّالي يكون الرّئيس على درجة من العلم والمعرفّة تمكّناه من حلّ جميع القضايا والمشكلات الّتي تواجهه بالمنطق والعقل والحوار، وتفادي اللّجوء إلى العنف وسفك الدّماء وما شاكل ذلك.

الخصلة السّابعة: أن يكون غير شرهٍ في المأكول والمشروب والمنكوح، متجنّباً بالطّبع للّعب مبغضاً للذّات الكائنة عن هذه. لأنَّ الإسراف في طلب تلك الأمور من شأنه أن يصرف الرّئيس عن تدبّر أمور الرّعيّة ويفقده مكانته ومهابته.

الخصلة الثّامنة: أن يكون محبّاً للصّدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله. الأمر الّذي يُكسِبهُ ثقة الجمهور ومحبّته، ويزرع المهابة في نفوس مواطنيه جميعاً .

الخصلة التّاسعة: أن يكون كبير النّفس، محبّاً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع إلى الأرفع منها، وهي نقطة جوهريّة كون الرّئيس مثلاً أعلى للرّعيّة يتشبّهون به ويقتفون أثره فإن هانت عليه كرامته ستجد أصداء لها في نفوسهم، وإن عفّت عليه نفسه وكانت الكرامة عنوان شخصيّته ستجد تجليّاتها في كرامتهم طبقاً للمثل الشّائع "أخلاق الرّعيّة من الرّاعي".

الخصلة العاشرة: أن يكون الدّرهم والدّينار وسائر أعراض الدّنيا هيّنةً عنده، وهذا تكريسٌ للعادات والأخلاق المتوارثة منذ القدم، كعادات الكرم والسّخاء، والإيثار، وغيرها،حتّى إذا عمَّ هذا المبدأ لم يعد للسّحت مكانٌ في الأمّة، ولم يعد أحدٌ محتاج فيها فيتحقّق بذلك التّآزر الاجتماعي والأمن والاستقرار للجميع.

الخصلة الحادية عشرة: أن يكون بالطّبع محبّاً للعدل وأهله، ومبغضاً للجور وأهلهما، ثمّ أن يكون عدلاً غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دُعي إلى العدل، بل صعب القياد إذا دُعي إلى الجور وإلى القبيح. فالعدل خيرٌ والخيرُ مجلبةٌ للسّعادة، والجورُ ظُلمٌ، والظّلم مجلبةٌ للشّر والشّر مجلبةٌ للشّقاء.

الخصلة الثّانية عشرة: أن يكون قوي العزيمة-على الشّيء الّذي يرى أنّه ينبغي أن يُفعل-جسوراً عليه، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النّفس.

وبالطّبع فإنَّ توفّر جميع هذه الشّروط في شخصٍ واحد ليس بالأمر اليسير: "واجتماع هذه كلّها في إنسان واحد عَسِر، فلذلك لا يوجد من فُطِرَ على هذه الفطرة إلاّ الواحد بعد الواحد، والأقلّ من النّاس، ويكون الرّئيس الثّاني الّذي يخلف الأوّل من اجتمعت فيه من مولده وصباه تلك الشّرائط، ويكون بعد كبره فيه ستة شرائط مكتسبة

هي: أن يكون حكيماً، وأن يكون عالماً حافظاً للشّرائع والسّنن والسِّيَر الّتي دبّرها الأوّلون للمدينة محتذياً بأفعاله كلّها حذو تلك بتمامها، وأن يكون له جودة استنباط فيما لا يُحفَظ عن السّلف فيه شريعة، ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتذياً حذو الأئمّة الأوّلين، وأن يكون له جودة رؤية وقوّة استنباط لِما سبيله أن يُعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث الّتي تحدث ممّا ليس سبيلها أن يسير فيه الأوّلون فيكون متحرّيّاً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة، وأن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأوّلين وإلى الّتي استنبطت بعدهم ممّا احتذى حذوهم، وأن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب وذلك أن يكون معه الصّناعة الحربيّة الخادمة والرّئيسيّة ويمكن أن توجد الرّئاسة باثنين، إذا وُجِدَ اثنان أحدهما حكيم والثّاني فيه الشّرائط الباقية كانا هما رئيسين في هذه المدينة، ولا يمكن للمدينة أن تعمّر طويلاً إذا خلت من وجود حكيم يقف على رأسها: "فإن لم يتّفق أن يوجد حكيم ..لم تلبث المدينة بعد مدّة أن تهلك

البنية التّنظيميّة للمدينة الفاضلة:

لكي تحصل المدينة الفاضلة ينبغي أن يوجد الرّئيس أوّلاً، فالعلاقة بين المدينة والرّئيس أشبه ما تكون بعلاقة النتيجة بالسّبب، والمعلول بالعلّة، من هنا كانت المدينة نتيجةً ومعلولاً لوجود الرّئيس، من ناحية ثانية ليست جميع المراتب الاجتماعيّة واحدةً في المدينة، الأمر الّذي يجعلها تتفاضل في الخدمة والرّئاسة فيما بينها ،ويعود هذا التّفاضل إلى أهل المدينة أنفسهم: "تتفاضل (المدينة) بحسب فِطَرِ أهلها، وبحسب الآداب الّتي تأدّبوا بها والرّئيس الأوّل هو الّذي يرتّب الطّوائف، وكلّ إنسان من كلّ طائفة في المرتبة الّتي هي استيهاله، وذلك إمّا مرتبة خدمة وإمّا مرتبة رئاسة ولكن رئيس المدينة متى أراد أن يحدد وصيّة في أمر أراد أن يحمل عليه أهل المدينة، أو طائفة من أهل المدينة، فإنّه يوعز إلى أقرب المراتب لينهضهم نحوها، فيقوم بتعميم ذلك إلى من يليه، وهكذا حتّى يصل إلى من رُتّبَ للخدمة في ذلك الأمر، ولا يخفى ما لهذا المبدأ من قيمة كبيرة، فهو تجسيد للعمل بمبدأ الشّورى، وتكريسٌ لارتباط الرّئيس برعيّته، الأمر الّذي يجعل المدينة تعمل بانسجام كجسدٍ واحد، وتبتعد عن الخلافات النّاشئة فيما بينها: "فتكون المدينة حينئذٍ مرتبطةً أجزاؤها بعضها مع بعض، ومرتّبةً بتقديم بعض وتأخير بعض وبعبارة أخرى: تحاكي المدينة في تنظيمها الموجودات الطّبيعيّة في الحياة: "وتصير شبيهةً بالموجودات

الطّبيعيّة، ومراتبها شبيهةً أيضاً بمراتب الموجودات، وارتباطها وائتلافها شبيهاً بارتباط وائتلاف الموجودات المختلفة بعضها ببعض .. (ويكون) مدبّر تلك المدينة شبيه بالسّبب الأوّل الّذي به وجود سائر الموجودات"، وهكذا ينبغي لرئيس المدينة الفاضلة ألاّ يكون فيلسوفاً فحسب بل أن يكون نبيّاً على اتّصالٍ بالسّبب الأوّل وبالعقل الفعّال، من ناحية أخرى تكمن سعادة المدينة في محاربة الشّرور وزوالها، وحلول الخير بنوعيه الطّبيعي والإرادي، وتلك هي مهمّة الرّئيس مدبّر المدينة: "وبالجملة يلتمس إبطال الشّرّين جميعاً وإيجاب الخيرين جميعاً. وتبقى المعرفة بمبادئ الموجودات القصوى ومراتبها، والسّعادة والرّئاسة ضرورة لكلّ واحد من أهل المدينة الفاضلة، والأفعال المحمودة إذا فُعِلَت نيلت بها السّعادة"، كما أنّه لا تكفي المعرفة بهذه الأفعال دون أن تتعيّن في شكل ممارسات عمليّة، بمعنى ضرورة ربط النّظريّة بالممارسة العمليّة، فسبيل تحصيل السّعادة لأهل المدينة الفاضلة هو ألاّ يقتصر الجهد على تعلّم الأفعال الّتي بها تُنال السّعادة، من دون أن تُعْمَل ويأخذ أهل المدينة بفعلها، والسّبيل إلى معرفة مبادئ الموجودات ومراتبها، والسّعادة، ورئاسة المدن الفاضلة، إنّما يتمّ بطريقين التّصوّر أو التّخيّل: "إمّا أن يتصوّرها الإنسان ويعقلها وإمّا أن يتخيّلها" والفرق بين التّصوّر والتّخيّل هو أنه بالتصوّر ترتسم في نفس الإنسان ذواتها كما هي موجودة في الحقيقة، وأمّا بالتّخيّل فترتسم في نفس الإنسان خيالاتها و مثالاتها وأمور تحاكيها، ويتمّ ذلك بهاتين المرتبتين، لأنَّ النّاس ليسوا على مرتبةٍ واحدة، وأنَّ محاكاة الأشياء تختلف من أمّة لأمّة، ومن طائفةٍ لطائفة: "فلذلك .. يمكن أن تكون أمم فاضلة ومدن فاضلة تختلف مللهم وإن كانوا كلّهم يَؤُمُّون سعادة بعينها" وإن كان أكثر النّاس يؤمّون السّعادة بالتّخيّل لا بالتّصوّر، لأنَّ التّخيّل أيسر لدى العقول من التصوّر إليها، ناهيك أنَّ الأكثريّة من النّاس هم من ذوي الرّتب الخادمة والعاديّة: "وأكثر النّاس الّذين يؤمّون السّعادة إنّما يؤمّونها مُتخيّلةٍ لا متصوّرة، والذّين يؤمّون السّعادة متصوّرةً ويتقبّلونها، ويؤمّونها عل أنّها كذلك هم المؤمنون" والأمور الّتي تُحاكى بالتّخيّل تتفاضل في الدّرجة، فمنها ما هو أزيد ومنها ما هو أنقص: "فيكون بعضها أحكم وأتمّ تخيّلاً، وبعضها أنقص تخيّلاً، وبعضها أقرب إلى الحقيقة، وبعضها أبعد عنها .. ". ولتأمين السّعادة لأفراد المدينة الفاضلة، يحددّ الفارابي الأشياء الّتي ينبغي أن تكون معلومةً من قبلهم، وأوّلها معرفة السّبب الأوّل وجميع ما يوصف به، ثمّ الأشياء المفارقة للمادّة وما يوصف كلّ واحدٍ منها بما يخصّه من الصّفات،

والمرتّبة إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعّال وفعل كلّ واحدٍ منها، ثمَّ بمعرفة شيء رابع هو معرفة الأجسام الطّبيعيّة الّتي تحتها، كيف تتكوّن وتفسد، وإنَّ ما يجري فيها يجري على إحكام وإتقان وعناية وعدل وحكمة، .. ثمّ كون الإنسان وكيف تحدث قوى النّفس، وكيف يفيض عليها العقل الفعّال الضّوء حتّى تحصل المعقولات الأُوَّل، والإرادة والاختيار، ثمَّ الرّئيس الأول، وكيف يكون الوحي، ثمَّ الرّؤساء الّذين ينبغي أن يخلفوه إذا لم يكن هو في وقت من الأوقات، ثمّ المدينة الفاضلة وأهلها والسّعادة الّتي تصير إليها أنفسهم، والمدن المضادّة لها وما تؤول إليه أنفسهم بعد الموت، إمّا بعضهم إلى الشّقاء وإمّا بعضهم إلى العدم، ثمّ الأمم الفاضلة، والأمم المضادّة لها، وهذه المعرفة تتمّ بطريقين، الأول أن ترتسم في نفوسهم كما هي موجودة، والثّاني أن ترتسم فيها بالمناسبة والتّمثيل على النّحو الّذي أشرنا إليه سابقاً.

القول في مضادّات المدينة الفاضلة:

ثمّة مدن مضادّة للمدينة الفاضلة: المدينة الجاهليّة، المدينة الفاسقة، المدينة المتبدّلة، والمدينة الضّالة، ونوائب المدن. أمّا الجاهليّة ; فهي تلك الّتي لم يعرف أهلها السّعادة، ولا خطرت ببالهم، وإن أُرشِدوا إليها لم يفهموها ولم يعتقدوها.. والسّعادة هي عندهم هي ما عرفوه من الخيرات تُظَنّ أنّها الغايات في الحياة وهي سلامة الأبدان، واليسار والتّمتّع باللّذات وأن يكون مُخلى هواه، وأن يكون مكرماً معظّماً، فكل واحدة من هذه سعادة عند أهل الجاهليّة، والسّعادة العظمى الكاملة هي اجتماع هذه كلّها ويضادّها الشّقاء (آفات الأبدان، الفقر، وغياب التّمتّع باللذّات .. إلخ)، وتنقسم المدينة الجاهلية الّتي لا تعرف الخير الحقّ ومن ثمَّ السّعادة الحقّة وإلى مجموعة من المدن أبرزها: المدينة الضّروريّة: وهي الّتي قصد أهلها الاقتصار على الضّروري ممّا به قوام الأبدان من المأكول والمشروب والمنكوح، والتّعاون على استعادتها. المدينة البدّالة: وهي الّتي قصد أهلها أن يتعاونوا على بلوغ اليسار والثّروة على اعتبار أنَّ اليسار لديهم هو الغاية من الحياة. مدينة الخسّة والسّقوط: وهي الّتي قصد أهلها التّمتّع باللّذّة من المأكول والمشروب والمنكوح .. وإيثار الهزل واللّعب بكلّ وجه ومن كلّ نحو. مدينة الكرامة: وهي الّتي قصد أهلها المجد والعظمة والشّهرة بين الأمم .ومدينة التّغلّب: وهي الّتي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم، الممتنعين أن يقهرهم غيرهم، ويكون كدّهم اللّذة الّتي تنالهم من الغلبة

فقط. والمدينة الجماعيّة: هي الّتي قصد أهلها أن يكونوا أحراراً يعمل كلّ منهم ما شاء، وملوك الجاهليّة على عهد مدنها أن يكون كلّ واحد منهم إنّما يدبّر المدينة الّتي هو مسلّط عليها ليحصل هواه وميله، وأغراض الجاهليّة تلك الّتي ذكرناها،بيد أنَّ المقصود بالرّئاسات الجاهليّة هو أنَّ كلّ رئاسة جاهليّة إمّا أن يكون القصد بها التّمكّن من الضّروريّ أو اليسار، أو التّمتّع باللّذات، أو الكرامة والذّكر والمديح، أو الغلبة، أو الحرّيّة .. لذلك صارت هذه الرّئاسات تُشرى شراءً بالمال .. والرّئيس الفاضل عندهم هو الّذي يقتدر على جودة الرّويّة وحسن الاحتيال فيما يُنيلهم شهواتهم وأهوائهم على اختلافها وتفنّنها،ويحفظهم على ذلك من أعدائهم، ولا يرزأ من أموالهم شيئاً بل يقتصر على الضّروري من قوته فقط .. وأمّا الفاضل الّذي هو بالحقيقة فاضل، وهو الّذي إذا رأَسَهُم قدّر أفعالهم وسدّدها نحو السّعادة، فهم لا يرئسونه وأمّا أصحاب الشّهوات من تغلب عليهم القوّة الشّهوانيّة فتستحيل قواه الغضبيّة خادمةً لقوّته الشّهوانيّة: "فلذلك يعظم عندهم أمر النّساء، ويحسن عند كثير منهم الفسق ولا يرون أنَّ ذلك سقوط وتخاسس إذا كانت نفوسهم ذليلة للشّهوات .. ويرى ما يعيبه النّساء هو العيب، وما يستحسنه النّساء هو الحسن، ويبتغون في كلّ شيء شهوات نسائهم .. وكثير منهم تكون نساؤهم هُنَّ المتسلّطات عليهم والمستوليات على أمور منازلهم" (المصدر نفسه).

المدينة الفاسقة: وهي الّتي اعتقد أهلها المبادئ وتصوّرها، وتخيّلوا السّعادة واعتقدوها، وأُرشِدوا إلى الأفعال الّتي ينالون بها السّعادة وعرفوها واعتقدوها، غير أنّهم لم يتمسّكوا بشيء من تلك الأفعال، ولكن مالوا بهواهم وإرادتهم نحو شيء من أغراض أهل الجاهليّة.. وجعلوا أفعالهم كلّها وقواهم مسدّدةً نحوها والمدينة الفاسقة هي الّتي تكون آراء أهلها آراء أهل المدينة الفاضلة، ولكنّ أفعالهم أفعال أهل المدينة الجاهليّة، بمعنى عدم تطابق أقوالها مع أفعالها ويتعذّر على واحدٍ من أهل هذه المدينة أن يظفر بالسّعادة بمعناها الحقيقي، وأنواع هذه المدينة على عدد أنواع المدن الجاهليّة.

المدينة المبدّلة: هي المدينة الّتي كانت آراؤها وأفعالها في القديم آراء أهل المدينة الفاضلة وأفعالها، غير أنّها تبدّلت فدخلت فيها آراء غير تلك واستحالت أفعالها إلى غير تلك الأفعال أيضاًالمدينة الضّالّة: هي الّتي حوكيت لأهلها أمور غير هذه الّتي ذكرناها بأن نُصِّبَت لهم المبادئ الّتي حوكيت لهم غير تلك الّتي ذكرناها، ونُصِّبت

السّعادة لهم غير الّتي هي في الحقيقة سعادة، وحوكيت لهم سعادة أخرى غيرها، وسمت لهم أفعال وآراء لا تنال بشيء منها السّعادة الحقيقيّة .. وتعتقد في الله عزّ وجلّ .. ويكون رئيسها الأوّل ممّن أُوهِمَ أنّه يوحى إليه من غير أن يكون كذلك، ويكون قد استُعمِل في ذلك التّمويهات والمخادعات والغرور وجميع ملوك هذه المدن مضادّة لملوك المدن الفاضلة ورياستهم مضادة للرّياسات الفاضلة.

نوائب المدن: النّوائب في المدن الفاضلة هم أصناف كثيرة منهم صنف متمسّكون بالأفعال الّتي تُنال بها السّعادة، بل شيئاً آخر ممّا يجوز أن يناله الإنسان بالفضيلة من كرامة أو رئاسةٍ أو يسار أو غير ذلك فهؤلاء متقنّصين .. ومنهم من يكون له هوىً في شيء من غايات أهل الجاهليّة .. وهؤلاء يُسمُّون المُحَرِّفة .. ومنهم من ليس يقصد تحريفاً ولكن سوء فهم عن قصد واضع السنّة ونقصان تصوّره لأقاويله يفهم أمور شرائع المدينة على غير قصد واضع السنّة .. فهؤلاء هم المارقة، وصنف آخر يكونون بما يفعلونه من ذلك غير معاندين للمدينة الفاضلة ولكن مسترشدين وطالبين للحق، ومنهم صنف آخر يزيّفون ما يتخيّلونه، ومنهم صنف آخر يتخيّلون السّعادة والمبادىء وليس في قوّة أذهانهم أن يتصوّرون أصلاً أو لا يكونون في قوّة إفهامهم أن يتصوّروها على الكفاية، وبعضهم يظنّ أنَّ الحقّ هو ما ظهر لكلّ واحدٍ وظنّه في الوقت بعد الوقت، وأنَّ الحقيقة في كلّ شيء هو به ظان .. وبعضهم يتخيّل له مثل حلم النّائم أو مثل ما يرى الشّيء من بعيد أن هاهنا حقّاً وبعض هؤلاء من الّذين يلتمسون إمّا كرامةً أو يساراً أو غير ذلك ممّا شأنه أن يهوى، يلتمسون أن يستريحوا ممّا يجدون من مضض الجهل والحيرة، ربّما أُوهموا إنَّ الغايات هي الّتي يختارونها هم ويؤثرونها، وأنَّ السّعادة هي هذه، وأنَّ الباقين مغرورون فيما يعتقدونه ويجتهدون في تحسين الأشياء الجاهليّة وفي تحسين السّعادة. ممّا تقدَّم يمكن استخلاص العديد من النّقاط أبرزها: أنَّ آراء الفارابي السّياسيّة انعكاسٌ دقيق لآرائه الفلسفيّة عن الكون والعالم، وما كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة "إلاَّ رسالة فلسفيّة مكثّفة تحتوي الكثير من الموضوعات كالفيض، والإرادة، والنّفس، والسّعادة، والاختيار، والوحي، والقوّة المتخيّلة، وهذا دليلٌ على أنَّ فلسفة الفارابي السّياسيّة لم تكن معزولة عن منظومة أفكاره الفلسفيّة، بمعنى أنَّ ما هو سياسيّ في فكر الفارابي يرتكز على ما هو فلسفيّ فيه، فالسّياسي مرتبطٌ

بالفلسفي ارتباطاً جوهريّاً يستحيل الفصل بينهما. النّقطة الأخرى إنَّ تأثر الفارابي بمحاورة "السّياسة" لأفلاطون المعروفة خطأً بـ "الجمهوريّة"، لا يعني التطابق في أفكارهما السّياسيّة تطابقاً نهائيّاً، فثمّة تناقض في بعض أفكارهما، مثل اشتراط الفارابي في رئيس المدينة الفاضلة أن يكون فيلسوفاً وعلى اتّصالٍ بالعقل الفعّال، مقابل اشتراط أفلاطون أن يكون رئيس الجمهوريّة فيلسوفاً فحسب. كذلك تصوّر الفارابي لرئيس المدينة الفاضلة أن يكون قادراً على الولوج في العالم الرّوحي والاندماج معه، للوصول بأهل المدينة إلى السّعادة الكاملة الّتي لا تدوم إلاَّ بدوام الاتّصال بالعقل الفعّال سواءٌ بطريق التّصوّر العقلي أو بطريق التّخيّل، القائمين على التّأمّل والإلهام، وهذا يستدعي الجمع بين النّبوّة والفلسفة في شخص رئيس المدينة الفاضلة، في مقابل دعوة أفلاطون إلى ضرورة أن يهبط الفيلسوف من تأمّلاته للمعقولات المجرّدة "المُثُل" إلى عالم الشّؤون السّياسيّة والأشياء المحسوسة. كذلك ينكر الفارابي آراء أفلاطون الّتي تقول بشيوعيّة النّساء والأولاد والثّروة، لتناقضها مع تعاليم الإسلام. أيضاً يدعو الفارابي إلى وجود مجلس رئاسة في حال تعذّر وجود شخص واحد يتمتّع بجميع الشّروط والخصال الّتي اشترط توفّرها فيه، خلافاً لأفلاطون الّذي اشترط في الحاكم أن يكون واحداً من الفلاسفة.من ناحية أخرى تشمل مدينة الفارابي أفراداً من أممٍ ودولٍ مختلفة، في حين تقتصر جمهوريّة أفلاطون على العنصر اليوناني فحسب، بمعنى أن مدينة الفارابي عالميّة الطّابع فهي لجميع الأعراق البشريّة الّتي تعيش فيها انطلاقاً من روح الإسلام القائم على المساواة بين النّاس كافّة، أمّا جمهوريّة أفلاطون فمحليّة وعرقيّة. وعلى أيّة حال فمردّ جميع الاختلافات بين ذينك الفيلسوفين يعود إلى اختلاف منطلقاتهما الفلسفية، دون أن يعني بحالٍ من الأحوال عدم تأثّر الفارابي بأفلاطون في عديدٍ من المسائل المتعلّقة بالعلم المدني أو الفلسفة، مع الإشارة إلى أنَّ الأثر الأكبر في فلسفة الفارابي يعود إلى أرسطو، وعليه فالفارابي ليس مُطَالباً بالتّطابق التّامّ مع أفلاطون لطالما يقف أرسطو وسط مخيّلته وعقله.